

# التكلف اللغوي عند ابن جني 392هـ في كتاب الخصائص - مظاهره وأسبابه

أمانى عبد العزيز الداود

أستاذ مشارك في اللغة العربية - جامعة جدة - السعودية

aaal-dawood@uj.edu.sa

قبول البحث: 2021/8/7

مراجعة البحث: 2021 /7/21

استلام البحث: 2021 /7/7

DOI: <https://doi.org/10.31559/JALLS2021.3.3.4>



This file is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

## التكلف اللغوي عند ابن جني 392هـ في كتاب الخصائص - مظاهره وأسبابه

أمانى عبد العزيز الداود

أستاذ مشارك في اللغة العربية- جامعة جدة- السعودية

aal-dawood@uj.edu.sa

استلام البحث: 2021/7/7 مراجعة البحث: 2021/7/21 قبول البحث: 2021/8/7 DOI: <https://doi.org/10.31559/JALLS2021.3.3.4>

### الملخص:

منزلة ابن جني العلمية وبراعته اللغوية نطقت بها شهادات المتقدمين والمتأخرين، وأشار إليها المحققون، فمكأنته العلمية محل إجماع، لا نزاع حولها ولا خلاف، ومن هنا جاءت طبيعة هذه الدراسة مختلفة عن غيرها من الدراسات التي تناولت ابن جني في كونها تتوجه لإلقاء الضوء على مأخذ من المآخذ التي أخذت عليه، وجانب من جوانب النقد اللغوي الذي وجه إليه، ذلك هو التكلف الطفيف الذي وسم به عند بعض العلماء قديماً وحديثاً.

وقد اتجهت الدراسة لرصد ذلك التكلف من خلال الوقوف على مظاهره، ومحاولة الكشف عن أسبابه، وكان الاعتماد في تحديد ذلك على التمعن والتدبر في نصوص ابن جني وطريقة تحليله للأمثلة، وعرضه للنظريات، وحكمه عليها، وإطالة النظر في طرائق تفكيره، وأسس تنظيره، للوصول إلى ما وراء ذلك التفكير من علة أو تبرير، وتتبع المواطن التي ظهر فيها ابن جني متكلفاً أو مبالغاً في الرأي، ودراستها دراسة موضوعية، لا تغض من شأن جهوده وتكشف في الوقت نفسه عن جانب من شخصيته ربما انعكس على طرحه اللغوي وتبرر موقفاً اتخذ تجاهه في بعض القضايا.

وقد أبرزت الدراسة التكلف الاشتقائي بوصفه مظهرًا من أكثر مظاهر التكلف حضوراً؛ وقد كان ولوع ابن جني بالاشتقاق سبباً في التزامه والاحتكام إليه، كما رصدت مظاهر أخرى، من أهمها: محاولة ربط ترتيب حروف اللفظ بمعناه وبالحدث المعبر عنه، استناداً على مبدأ القيمة التعبيرية للحرف، والربط بين معاني أصول المترادفات وإن تباعدت معانها، وتأسيس بعض الألفاظ الدخيلة.

أما أكثر أسباب التكلف فتعزى إلى أن ابن جني كان يحاول أن يقلل دائماً من مساحة التباين في اللغة، مع ما تميز به من عقلية تحليلية تعليلية وشخصيته فذة مبدعة، فهو يحلل المسألة إلى أقصى ما تحمله ويشرح دقائقها وعللها ويميل إلى الابتكار والإبداع في ثقة واعتداد، يصحبه إعجاب شديد بلغة العرب، ورغبة في بيان حكمهم.

الكلمات المفتاحية: التكلف اللغوي؛ ابن جني؛ الاشتقاق؛ مناسبة الألفاظ للمعاني.

### المقدمة:

عُرف أبو الفتح عثمان بن جني بأنه من أساطين التراث العربي وكبار أئمة العربية؛ وقد بلغ هذا الإمام منزلة في علوم العربية فيها من الجلالة وعلو القدر ما لم يبلغه إلا القليل من علماء العربية؛ ولا غرو فقد قدم دراسات لغوية عميقة، وخلف إسهامات علمية رصينة، وطرائف لغوية عجيبة تنم عن فطنة الرجل ودقة نظره وعلو قدره، تشهد بذلك كتبه وعلى رأسها الخصائص، فبلغ منزلة لم يكدها أحد غيره.

وعلى الرغم من أن منزلة ابن جني العلمية وبراعته اللغوية كانت محل إجماع بين العلماء، لا غبار عليها، ولا خلاف حولها، نطقت بها شهادات المتقدمين والمتأخرين، وأشارت لها كتب الباحثين، إلا أنه لم يسلم من النقد الذي وجه إليه ووصفه بالتكلف أحياناً لاسيما في كتابه "الخصائص"؛ مما استوقفني كثيراً أثناء قراءتي لما كتب عنه، فتطلعت النفس لإعداد هذه الدراسة، ثم حثها إلى وحدها إلى الإتمام دواعٍ أخرى، من أهمها: ما في الموضوع من أصالة تظهر عمق الفكر والنظر لدى علمائنا الأوائل من ناحية، وما تتضمنه من إلقاء الضوء على موقف المحدثين تجاه هذه القضية من ناحية أخرى، كما لم أجد فيما بحثت دراسة تتناول هذا الملمح اللغوي عند ابن جني، وتهدف إلى الكشف عنه.

لذا كان هذا الملمح يحتاج إلى رصد دقيق من أجل تحليل ظواهره وتجليه الأسباب الخاصة المرتبطة به، ومن هنا جاءت طبيعة هذه الدراسة مختلفة عن غيرها من الدراسات التي تناولت ابن جني في أن الاهتمام جاء منصّباً على مأخذ من المآخذ التي أخذت عليه، وجانب من جوانب النقد اللغوي الذي وجه إليه، ذلك هو التكلف الطفيف، أو طيف التكلف الذي وسم به ابن جني عند بعض العلماء قديماً وحديثاً، إذ اتخذ تحليل ابن جني أحياناً مساراً يغلب عليه المغالاة والبعد عن الحد المقبول في الربط بين الدلالات أو أصول المفردات، وفي هذا المسار وإن كانت قدرته اللغوية ومعرفته بالعربية في أعلى درجاتها إلا أنه قد تندّد منه بعض الهنات التي لا تغضُّ من منزلته، ولا تنال من قدره ووفرة علمه.

واقترضت طبيعة البحث أن يتكوّن من المباحث الآتية:

التمهيد: جاء الحديث فيه عن أمور تتصل بالبحث وعنوانه، وهي: "إشارات اللغويين إلى التكلف عند ابن جني" و"مفهوم التكلف".

المبحث الأول: مظاهر التكلف اللغوي عند ابن جني

المبحث الثاني: أسباب التكلف اللغوي عند ابن جني

أما منهج هذا البحث فهو المنهج الوصفي القائم على التحليل والتعليل.

### التمهيد:

اشتهر ابن جني في مجال اللغة أكثر من النحو، عمد إلى إبراز خصائص اللغة وأصولها، وبرع في تفسير الظواهر اللغوية والتعمق في تحليلها، فجاءت دراسته وجهوده تتسم بالريادة والعمق، وبلغ من العلم مرتبة لم يبلغها أحد قبله، لا سيما وقد عانى أبناء عصره من الضعف العلمي واللغوي، وتوفي سنة 392هـ<sup>1</sup>

وقد حاز ابن جني على مكانة علمية رفيعة شهد له بها أهل عصره وزمانه وكثير من أهل اللغة والنحو والقائمين على دراسته في العصور اللاحقة وحتى يومنا هذا، فقد قال عنه الثعالبي: "هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب"<sup>2</sup> وهو من اهتدى إلى قضية الاشتقاق الأكبر بعمق فكره ونظره، وكان له الفضل في تعييدها وبيان مناسبة بعض المعاني لبعض الأصوات رغم تقلب أصولها<sup>3</sup>، و"يعتبر أبو الفتح ابن جني بعد الخليل بن أحمد ثاني عبقرى نظر إلى اللغة نظرة شاملة"<sup>4</sup>، وكان أوحد زمانه في علم العربية<sup>5</sup>. كما أظهر ابن جني براعة في التعليل ومقدرة لغوية فذة في معالجة القضايا اللغوية بصورة منطقية خاضعة للتصور العقلي، قد لا تخطر على بال المتكلم الذي يستعمل اللغة، أو قارئ كتبه، وعلى الرغم من مكانة ابن جني العلمية وجهوده اللغوية إلا أنه أخذ عليه بعض الهنات اليسيرة، فقد وصم عند بعض اللغويين القدامى<sup>6</sup> والمحدثين<sup>7</sup> بالتكلف والتعسف.

أولاً: إشارات اللغويين إلى التكلف عند ابن جني:

#### • إشارات المتقدمين:

صرح ابن عصفور 669هـ برفضه للاشتقاق الكبير لما فيه من تكلف ابن جني،<sup>8</sup> أما السيوطي 911هـ فقد وصفه بالتحليل: "ولا يُنكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدّة المادّة معنى مُشترِكٌ بينها هو جنسٌ لأنواع موضوعاتها، ولكن التحليل على ذلك في جميع موادّ"

<sup>1</sup> "ابن جني"، www.marefa.org، اطّلع عليه بتاريخ 2019-11-23. بتصرف

<sup>2</sup> يتيمة الدهر، 77/3

<sup>3</sup> صارة أضواليا، ابن جني وحياته العلميّة، ص 5. بتصرف

<sup>4</sup> محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص 194

<sup>5</sup> الجموي، معجم الأدباء: 232/7

<sup>6</sup> المزهر، 347/1

<sup>7</sup> وافي، فقه اللغة، ص 138، أنيس، من أسرار اللغة، ص 68، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 106، دراسات في فقه اللغة، ص 194

<sup>8</sup> ينظر: الممتع، 40/1

التركيبات كطلبٍ لعنفاءٍ مُغربٍ ولم تُحْمَلِ الأوضاَعُ البشريّةُ إلا على فهمٍ قريبةٍ غير غامضةٍ على البديهة فلذلك إن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون<sup>9</sup>.

#### • إشارات المحدثين:

أما بالنسبة لآراء المحدثين فإنهم يتفقون على قدم سبقه، وجلاء عبقريته في علوم العربية، فجاءت البحوث اللغوية الحديثة تعتمد على آرائه في اللغة، والأصوات، والتصريف، فقد كان نسيج وحده في صناعة التصريف، ويعد بحق فيلسوف العربية، وأكبر أئمة النحو بعد الخليل وسيبويه، وقد بَوَّأه الأستاذ أحمد أمين زعامة مدرسة القياس، إلا أن البستاني وصفه بالإغراق فقال: "هو على دقته في البحث وإغراقه في التعليل والتحليل سائح الأسلوب"<sup>10</sup> والإغراق سبيل إلى التكلف ومفضٍ إليه.

ووصف إبراهيم أنيس موقف ابن جني من الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات بالمغالاة وربما بالغ حين شبه بعض نظرياته بأحلام اليقظة، حين قال: "لقد غالى ابن جني في هذا ومعه الثعالبي صاحب فقه اللغة إذ جعل مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلاً على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات.. إلى غير ذلك من تخيلات وتأملات تشبه أحلام اليقظة عند رجل اشتد ولعه باللغة العربية فتصور فيها ما ليس فيها، وأضفى عليها من مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان ولا تتصف به لغة من لغات البشر"<sup>11</sup>

وعبر صبيحي الصالح عن ولوعه بالاشتقاق الكبير "أو الأكبر كما يسميه بقوله: "إن النظرة الأولى إلى صنيع ابن جني في هذه التقاليد لا تخطئ التكلف البعيد الذي وقع فيه، وهو يلتمس الطريق نحو الرابط السحري العجيب الذي يَزُدُّ هذه التقاليد جميعاً إلى أصل واحد، وإمام منقاد"<sup>12</sup>

وأكد فكرة التكلف علي وافي حين قال: "وقد بالغ بعضهم في هذا النوع من الاشتقاق، فزعم أنه يَطْرُدُ في معظم المواد، والحق أنه لا يبدو في صورة واضحة إلا في طائفة يسيرة من المواد، ومحاولة تطبيقه في غيرها يقتضي كثيراً من التكلّف والتعسّف أو الخروج باللفظ عن مدلوله الأصلي أو التشبث بملايسات ضعيفة واهية"<sup>13</sup>

وإلى الطريق نفسه ذهب محمد المبارك إذ نقل عن السابقين أن ابن جني ومن تابعه في تقاليده قد تكلفوا وتعسّفوا في إثبات هذا النوع من الاشتقاق.<sup>14</sup> وعلى الرغم من كل ما سطره عبد الغفار هلال عن عبقرى اللغويين ابن جني إلا أنه اعترف بمبالغته في بعض المواضع فقال: "فلا شك أن في رأي ابن جني غلوا وتطرفاً"<sup>15</sup>

#### ثانياً: مفهوم التكلف:

يظهر مما سبق أن أكثر كلمة كانت تستعمل لوصف مبالغة ابن جني في إثبات فكرته هي كلمة "تكلف" وهو السر وراء اختيارها هنا للتعبير عن هذا الملمح الفكري عند ابن جني، ويجدر بنا قبل الولوج في توصيف مظاهره والبحث عن أسبابه تحديداً المقصود من التكلف اللغوي هنا وتأطير معناه، فالتكلف في اللغة مصدر قولهم: تكلف الشيء يتكلفه، وهو مأخوذ من مادة (ك ل ف)، التي تدور حول معنى الإيلاج بالشيء والتعلق به، تقول: كلف بالأمر يكلف كلفاً (تعلق به وأولع)... وتكلف الشيء، أن يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناله في تعاطيه<sup>16</sup>، أما في الاصطلاح فالتكلف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشيع<sup>17</sup>، وقيل هو: أن يحمل المرء على أن يكلف بالأمر كلفه بالأشياء التي يدعو إليها طبيعه<sup>18</sup>

ومن ثمّ يمكن القول بأن التكلف المقصود هنا هو: المغالاة والمبالغة في التحليل الدلالي أو الربط الاشتقائي مما يفضي إلى حصول المشقة، ويظهر فيه شيء من التصنع.

والتكلف بهذا المعنى الذي تتوجه إليه الدراسة لم يكن طابعاً سائداً ولا صفة دائمة عند ابن جني، ولكنه كان ملمحاً موجوداً يبرز تارة ويختفي تارات، قد يلجأ إليه أبو الفتح لتحقيق أغراض علمية، فيأتي بشواهد لغوية، ويفسر تفسيرات بعيدة، لإثبات فكرته،

<sup>9</sup> المزهر: 164/2

<sup>10</sup> دارة المعارف، 420/2

<sup>11</sup> من أسرار اللغة، ص 67

<sup>12</sup> دراسات في فقه اللغة، ص 194

<sup>13</sup> فقه اللغة، ص 141

<sup>14</sup> فقه اللغة، ص 106

<sup>15</sup> عبقرى اللغويين، ص 875

<sup>16</sup> مقاييس اللغة (5/136)، ولسان العرب (9/307)

<sup>17</sup> المفردات، ص 439

<sup>18</sup> المناوي، التوقيف، ص 107

والتدليل على صحة نظريته، وليس لبيان قوة ساعده، أو إبراز مقدرته اللغوية، فقد كان يتحلى بقدر كبير من الثقة بالنفس، والاستقلال الفكري والتفرد العلمي.

### المبحث الأول: مظاهر التكلف اللغوي عند ابن جني

المقصود هنا بالمظاهر صور التكلف التي بناء على وجودها أخذ على ابن جني هذا المآخذ، وقد كان الاعتماد في تحديدها على التمعن والتدبر في نصوص ابن جني وطريقة تحليله للأمثلة، وحكمه عليها، وعرضه لأرائه، وتتبع المواطن التي ظهر فيها ابن جني مبالغاً، أو متكلفاً كما وصفه بعضهم.

#### أولاً: التكلف الاشتقائي:

يُعدُّ موضوع الاشتقاق من أغزر الموضوعات اهتماماً وأوفرها رعاية في الدرس اللغوي؛ إذ لا يكاد يخلو مدوّن تخصصي في اللغة من مبحث في (الاشتقاق)

وقد حظي باهتمام فائق من ابن جني، حيث عُني به وفصل القول فيه، واستحدث بعض أنواعه كالاشتقاق الأكبر كما سماه: "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وان تباعد شيء من ذلك عنه زُدَّ بَلُطَف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقائيون ذلك في التركيب الواحد"<sup>19</sup>

لكن هذا النوع من الاشتقاق ما كانت نتائجه وأحكامه لتتنطبق على جميع المواد والأصول، فليس من المسلم به وجود رابط معنوي مشترك لجميع تقليب المادة الواحدة، ومما أخذ على ابن جني هنا تكلفه أحياناً في تلمس رابط معنوي مشترك لجميع الجذور الناتجة عن تقليب المادة الواحدة، فيما سماه "الاشتقاق الأكبر"<sup>20</sup> فهناك بعض المسائل التي حاول ربطها وأسرف في تأويلها، ولعل هذا المظهر من التكلف كان سبباً في أكثر النقد الذي وجه إلى ابن جني، يقول صادق أبو سليمان في ذلك: "على أن أكثر النقد الذي تعرض له هذا الاشتقاق يرجع إلى تعسف ابن جني في تلمس رابط معنوي مشترك لجميع الجذور الناتجة عن تقليب المادة الواحدة"<sup>21</sup>.

وقد شعر بهذه الصعوبة التي تواجهه خلال تطبيق نظريته، واستعصاء ربط بعض المعاني، فقال: "هذا أعوص مذهباً، وأحزن مضطرباً، وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة"<sup>22</sup>

وعبر ابن جني عن تكلفه في رد المعاني المتباعدة بـ (بالتأويل إليه، وعطف بالملاطفة عليه) فيقول: "فإن شدَّ شيء من شعب هذه الأصول عن عقده ظاهراً زُدَّ بالتأويل إليه، وعطف بالملاطفة عليه، بل إذا كان هذا قد يعرض في الأصل الواحد حتى يحتاج فيه إلى ما قلناه، كان فيما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى باحتمال وأجدر بالتأويل له"<sup>23</sup>

ولا تخلو كلمة "التأويل" من اعتراف غير صريح بافتعال الربط، وتكلف إيجادها، وهو إن اختفى في بعض المواضع برز في مواضع أخرى، من ذلك ما قاله في ربط مواد (ل م س): "ولا بُدَّ مع التلمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه. ومنه الملامسة قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نَسْأَلِ الْمَرْءَ أَلَيْسَ أَلَيْسَ ﴾ (النساء: 43) أي: جامعتم، وذلك أنه لا بُدَّ هناك من حركات واعتمال، وهذا واضح،

فأما "ل م س" فمهم، وعلى أنهم قد قالوا: نسمت الريح إذا مرَّت مرّاً سهلاً ضعيفاً، والنون أخت اللام، وسترى نحو ذلك"<sup>24</sup> حاول ابن جني أن يجمع تقليب مادة (س ل م) على معنى واحد وهو الإصحاح والملاينة، وحين تعسر عليه إخضاع مادة (ل م س) لذلك المعنى تكلف بإبدال اللام نوناً، وإحساس ابن جني اللغوي لم يفته وجود هذا العسر، لكنه واجهه أحياناً بهذا التكلف على الرغم من اعترافه بصعوبة ما يدعو إليه.

وقد أقرَّ غنيهي هلال بمبالغة ابن جني في هذا النوع من الاشتقاق، ووصفه بأنه مرتفع يطل على اللغة، فقال: "مع ما يبدو في رأي ابن جني من المبالغة أرى على حد تعبير الدكتور المبارك ضرورة ولوج هذا الباب، واستشراق آفاق العربية البعيدة من هذا المرتفع"<sup>25</sup>

19 الخصائص: 2/136

20 وهو "الاشتقاق الكبير" عند غيره

21 أنواع الاشتقاق في العربية، ص 140

22 السابق نفسه

23 الخصائص: 2/139

24 السابق: 2/140

25 عبقرى اللغويين، 849، وينظر: المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 88

وقد وقع ابن جني في هذا النوع من التكلف في بعض المسائل في باب آخر وهو: "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" حيث أرجع لفظ "الطفيلي" إلى معنى: اللين، والانجذاب، وترك الشدة والاعتياص<sup>26</sup>، وغير ذلك... مثلاً: "الطفل" هو من لفظ: "طفلت الشمس للغروب" أي: مالت إليه، وانجذبت نحوه، ومنه: "فلان طفيلي"، وذلك أنه يميل إلى الطعام، وعلى هذا قالوا له: غلام لأنه من الغلطة وهي: اللين، وضعفة العصمة، وكذلك قالوا: "جارية" فهي: "فاعلة" من: جرى الماء، وغيره... وذلك أن الطفل والصبي والغلام والجارية ليس لهم عصمة الشيوخ، ولا جساءة الكهول<sup>27</sup>

والأقرب للصواب أن "الطفيلي" كلمة تولدت من النسبة إلى اسم العلم المشهور "طفيل" الذي كان يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها، وكان أول من لا يابس هذا العمل في الأمصار، فُضِّبَ به المثل في التطفل، هذا ما ذكر في أكثر كتب اللغة<sup>28</sup>، وليس كما تكلف ابن جني في بيان حقيقة معنى اشتقاق الطفيلي.

ومما يدخل في هذا الباب الربط الذي تكلفه ابن جني بين لفظ (الكلام) ومعنى الأصل اللغوي وهو الشدة، إذ جعل الكلام سبباً للشعر "وهذه مبالغة في التعليل"<sup>29</sup> وقال في ذلك: "ومنه الكلام وذلك أنه سبب لكل شر "وشدة" في أكثر الأمر... ومنه قول أبي بكر -رضي الله عنه- في لسانه: "هذا أوردني الموارد"<sup>30</sup>

ويعلق السامرائي على ربط ابن جني لتقليبات (ك ل م) بأنه: "تكلف ظاهر إذ يمكن أن يعلل بعكس هذا الأمر تماماً"<sup>31</sup>

ثانياً: خلق مناسبة لترتيب الحروف أو تجاورها:

يعمق ابن جني نظرتة فيرى أن ترتيب أصوات اللفظ ليس عشوائياً وإنما يرتبط بالكيفية التي يتم بها الفعل أو الحدث، وكأن اللغة تتجاوب وأدق تفصيلات علمها الخارجي المتصلة به<sup>32</sup>، فالحرف الأول يدل على المرحلة الأولى من الحدث، والحرف الثاني يدل على المرحلة الثانية وهكذا "ومن وراء هذا ما للطف فيه أظهر والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيباً وتقديم ما يضاهاي أول الحدث وتأخير ما يضاهاي آخره وتوسيط ما يضاهاي أوسطه سؤفاً للحروف على سُمّت المعنى المقصود والغرض المطلوب"<sup>33</sup>

من ذلك ما قاله في (بحث) مشيراً إلى ترتيب الأحرف على سمت المعاني: "بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحْلِها<sup>34</sup> تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبت للتراب وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً، فأَيّ شبهة تبقى بعده، أم أَيّ شك يعرض على مثله. وقد ذكرت هذا في موضع آخر من كتبي لأمر دعا إليه هناك، فأما هذا الموضوع فإنه أهله، وحقيق به لأنه موضوع له ولأمثاله"<sup>35</sup>

ويتحدث عن (شدّ) سؤفاً للحروف على ترتيب المعاني وسمتها، فيقول "ومن ذلك قولهم: شدّ الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشدّ والجدب وتأريب العقد، فيعبر عنه بالبدال التي هي أقوى من الشين، ولاسيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها. ويقال: شدّ وهو يشد، فأماً الشدة في الأمر فإنها مستعارة من شدّ الحبل ونحوه لضرب من الاتساع والمبالغة، على حد ما نقول فيما يشبهه بغيره لتقوية أمره المراد به"<sup>36</sup>

ويقوم ابن جني فكرة محاكاة ترتيب الأحداث أو ارتباط ترتيب حروف اللفظ بمعناه وحدثه على مبدأ القيمة التعبيرية للحرف، وما يمكن أن يحمله الصوت من دلالات وإيحاءات، ويربط ذلك بالحدث المعبر عنه، والتسليم بهذه الرؤية ربما يقود للتناقض مع نظرية الاشتقاق الكبير التي نادى بها ابن جني، وأقامها على مبدأ جمع تقاليب المادة على اختلاف ترتيب حروفها على معنى واحد مشترك بينها؛ لأن اعتماد الترتيب بوصفه دالا على المعنى ومؤشر عليه يبني عليه أن اختلاف الترتيب يؤدي إلى اختلاف المعنى وتغيير مساره، وهو أمر يثقل كاهل اللغة.

<sup>26</sup> ينظر: الخصائص، 120/2

<sup>27</sup> الخصائص: 121/2

<sup>28</sup> ينظر مادة 05 طفل: لسان العرب (10/402). القاموس المحيط (7/4). تاج العروس 436/15

<sup>29</sup> السامرائي، ابن جني اللغوي، ص 207

<sup>30</sup> الخصائص: 15/1

<sup>31</sup> ابن جني اللغوي، ص 208

<sup>32</sup> سائدة العيص، الوجهة الاجتماعية عند ابن جني في الخصائص، ص 89 (بتصرف)

<sup>33</sup> السابق: 164/2

<sup>34</sup> الصجل: البيعة في الصوت.

<sup>35</sup> الخصائص: 163/2

<sup>36</sup> السابق: 165/2

ومهما يكن من أمر فإن فلسفة ابن جني اللغوية في هذا الموضوع تتأثر بالمنطق الذي يتعذر جريانه على اللغة في كثير من الأحيان، كما أن تحميل الحرف قيمة تعبيرية يقود إلى التناقض لاختلاف دلالات الحرف باختلاف مواقعها من الكلام فلا يمكن أن تتسق دلالات حرف مع كل الألفاظ التي وقع فيها.

وقد أحس ابن جني بشيء من هذا؛ لذا أعقب حديثه بهذا التعليق: "إن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين: إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقع بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقصّر أسبابها دوننا "كما قال سيبويه: "أو لأنّ الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"<sup>37</sup>

ثالثاً: تكلف الربط بين معاني أصول المترادفات وإن تباعدت بمعنى واحد يجمعها:

عبر ابن جني عن الترادف بقوله: تلامي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وخصص له باباً في الخصائص، عنوانه: (تلامي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) قال في أوله: "هذا فصل من العريبة حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"<sup>38</sup>

وقد تكلف ابن جني الربط بين معاني أصول بعض المترادفات وإن كانت متباعدة، واعتمل ربطها بمعنى واحد يجمعها، ومثل ابن جني لهذا الاتجاه بأمثلة متنوعة من المترادفات اجتمهت في الربط بين أصول مفرداتها وإن بدا بعضها مقبولاً في ظاهره إلا أن منها ما بدا متكلفاً بعيداً مشعراً بافتعال الربط، وتكلف الوصل، وأظهر مثال بدا فيه ذلك ربطه بين المسك والصوار، حيث قال: "ومن ذلك قولهم للقطعة من المسك: "الصوار" قال الأعشى:

إذا تقوم يצוע المسك أصورة ... والعنبر الورد من أردانها شمل

ف قيل له: "صوار" لأنه "فعال" من صاره يصوره إذا عطفه وثناه، قال الله سبحانه: ﴿ قَالَ فَخَذُّ أَرْبَعَةً مِّنَ الظَّيْرِ فَصُرْهُنَّ

إِيَّاكَ ﴾ (البقرة: 260). وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه... وكذا تجد أيضاً معنى المسك، وذلك أنه "فعل" من أمسكت الشيء كأنه لطيب رائحته بمسك الحاسة عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه. ومنه عندي قولهم للجلد: "المسك" هو فعل من هذا الموضع، ألا ترى أنه يمسك ما تحته من جسم... فقولهم إذا: مسك يلاقي معناه معنى الصوار، وإن كانا من أصلين مختلفين، وبناءين متباينين: أحدهما "م س ك" والآخر "ص ور"<sup>39</sup>

وبالرجوع إلى معاجم اللغة نجد أنها تذهب إلى أن الصوار هو "وعاء المسك"<sup>40</sup> وذكرت بعضها أنه "ريح المسك"<sup>41</sup> لا المسك نفسه كما ذهب ابن جني، مما يعني أنه لا يوجد ترادف بين الكلمتين في الأصل، كما ذهب بعض اللغويين إلى أن المسك معربة عن الفارسية<sup>42</sup>، والصوار فارسية أيضاً<sup>43</sup>، وهو الأرجح والأقرب للصواب.

وتقوم فكرة ابن جني هنا أو فرضيته على اعتبار أن الكلمات المترادفة في أصل وضعها كانت ذات معاني متقاربة ثم تطورت اللغة، وتعددت المفردات، وكأنه يشير من طرف خفي إلى أن تقارب المعاني حاصل حتى وإن تباعدت الحروف واختلفت، فالصبي والطفل والغلام والجارية كلمات أصولها مختلفة ومع ذلك فكلها - حسب رأي ابن جني - تدل على معنى عام هو اللين والميل والانجذاب. وكان ابن جني أراد أن يحل إشكالية الخلاف حول وجود الترادف في اللغة أو عدم وجوده، فرأى أن جمع أصول المترادفات المعنوية برباط معنوي ينفي عن اللغة فكرة الفوضى وكل ما ينافي الشرف والحكمة.

ثم يختم الباب بعبارة تؤكد فكرته وتدفع عنها كل شك ووهم في صحتها وتسجل إعجابها بها، إذ وصفها بأوصاف تدل على السحر والجمال: "فالتأني والتلطّف في جميع<sup>44</sup> هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو "خاص اللغة" وسرها، وطلاوتها الرائقة وجوهرها، فأما حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هرجة، فنعود بالله منه، ونرغب بما آتانا سبحانه عنه"<sup>45</sup>.

<sup>37</sup> الخصائص: 2/166

<sup>38</sup> الخصائص: 2/115

<sup>39</sup> السابق: 2/120119

<sup>40</sup> ينظر: الصحاح (صور/2/716)

<sup>41</sup> جاء في لسان العرب: "الصوّارُ والصوّارُ: الرّايحة الطّيبة، والصّوّارُ والصّوّارُ: القليل من المسك، وقيل: القِطعة منه، والجَمْعُ أصوَرَةٌ، قاريبي"

<sup>42</sup> ينظر: الطوسي، شفاء الغليل، ص 182، الجواليقي، المغرب، ص 325

<sup>43</sup> لسان العرب (صور/4/476)

<sup>44</sup> لعلها "جمع" وهو أدق وأنسب للسياق

<sup>45</sup> الخصائص: 2/127

رابعاً: الربط الدلالي بين كلمتين مع اختلاف الحرفين والثلاثة:

تقوم فلسفة ابن جني على أن التقارب الصوتي في الأصول بين لفظين يؤدي إلى تقارب معانيها أو أن تقارب المعاني في لفظين يقود إلى تقارب حروفها صوتياً وهو ما عبر عنه بقوله: "وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني"<sup>46</sup> وهذا باب واسع، عُرِف عند اللغويين بـ "الاشتقاق الأكبر"<sup>47</sup> أو (الإبدال اللغوي)<sup>48</sup>.

ولم يقف حديث ابن جني في الاشتقاق الأكبر عند الألفاظ التي يقتصر فيها الاختلاف على الصوت الواحد كما في (أز) و(هز)، وإنما تجاوزته لادعاء التقارب بين ألفاظ اختلفت كل أصولها الثلاثة، فيقول: "وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة: الفاء والعين واللام. فقالوا: عصر الشيء، وقالوا: أزله إذا حبسه، والعصر ضرب من الحبس، وذلك من "ع ص ر" وهذا من "أزل" والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام، وقالوا: الأزم: المنع، والعصب: الشد، فالمعنيان متقاربان، والهمزة أخت العين، والزاي أخت الصاد، والميم أخت الباء، وذلك من "أزم" وهذا من "ع ص ب"<sup>49</sup>

وبالنظر إلى هاتين المادتين في مقاييس اللغة نجد أن "عصر" العين والصاد والراء أصولاً ثلاثة صحيحة: فالأول: دهرٌ وحين، والثاني: ضَعَطَ شيءٌ حتى يتحلَّب، والثالث تَعَلَّقُ بشيءٍ وامتسكَّ به"<sup>50</sup> وأما الهمزة والزاء واللام فأصلان الضيق والكذب"<sup>51</sup> ويظهر من نصوص ابن جني في التقريب أنه كان يعتمد على ما بين المعاني أو الأحداث من مكونات مشتركة، وهو أمر طبيعي، تفرضه طبيعة الأحداث، كما ذهب إلى أن العصر ضرب من الحبس، يقول ابن جني: "وتجاوزوا ذلك" والذي يظهر أن ابن جني هو الذي أخذه الإعجاب بفكرته بعيداً، فبالغ في تطبيقها وتكلف الربط الدلالي بين ألفاظ لا يجمعها إلا تقارب مخارج أصواتها. ومما مثل به على هذا الضرب من التقارب ما بين السلب والصرف: "وقالوا: السلب والصرف، وإذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه، فذلك من "س ل ب"، وهذا من "ص ر ف"، والسين أخت الصاد، واللام أخت الراء، والباء أخت الفاء" وهذا القول يقتضي أن نزم تقاربهما في المعنى لتقارب الأصوات مخارجياً (نزم)!!

عبر ابن جني عن الخيط الجامع بين اللفظين بقوله: "وإذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه" وعند التدقيق نجد أنه قد يصرف عن وجهه وقد لا يصرف، أي أن الربط بين السلب والصرف والعلاقة بينهما أمر محتمل وظني قد يحدث أو لا يحدث، وهذا تأويل يغلب عليه الطابع الفلسفي، ويؤكد ذلك البعد بين المعنيين ما جاء في المقاييس: "السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة.. والسَّلُوب من النوق: التي يسلب ولدها والجمع سلب... وأما السلب وهو لحاء الشجر فمن الباب أيضاً، لأنه تقشر عن الشجر، فكأنما قد سلبته"<sup>52</sup>

"الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجوع الشيء... ومعنى الصرف عندنا أنه شيء صرف إلى شيء، كأن الدينار صرف إلى ... صرف الكلام: تزيينه والزيادة فيه، وإنما سمي بذلك لأنه إذا ... زين صرف الأسماع إلى استماعه. ويقال لحدث الدهر: صرف."<sup>53</sup> كان ابن جني يبني محاولة الربط والتقريب على فكرة أخوة الحروف وتقارب مخارجها، وهذا التقارب لا يعني تقارب المعنى دائماً، فقد يحدث ولكن لا يعمم، والتزم في شرح الأمثلة الاتكاء على نقطة وهذا الحرف أخت للحرف، وتكرارها في كل مرة، وكأنها السبب وراء ذلك التقارب أو الإيمان به.

وقد يحدث تكلف التقارب الدلالي بين أكثر من كلمة كما مثل بـ: جلف وجنّف وجرف، فذهب إلى أن: "الراء أخت اللام والعمالان متقاربان. وعليه قالوا فيها: الجرّفة وهي من "ج ر ف" وهي أخت جلفت لقم إذا أخذت جُلْفته، وهذا من "ج ل ف"؛ وقريب منه الجنف وهو الميل، وإذا جَلَفَت الشيء أو جرفته فقد أملت عمّا كان عليه، وهذا من "ج ن ف"<sup>54</sup>

وهذا الرأي الذي يقوم على "مضارعة الحرفين والثلاثة لا يمكن الاطمئنان إليه لأنه يقيد حرية اللغة ويحملها من شطط التأويل ما لا تطيق، وإن تقارب الألفاظ لتقارب المعاني إن أمكن تطبيقه على أمثلة معينة فلا أظن أنه يمكن تعميمه بحيث يصبح قاعدة مطردة

55 "

46 السابق: 148/2

47 الحائني، المفتاح، ص 7، عبد الله أمين، تاريخ آداب العرب، 1/223

48 وافي، علم اللغة، ص 196، الصالح، دراسات في فقه اللغة، 336335، النادي، فقه اللغة، ص 224

49 الخصائص: 154/2

50 مقاييس اللغة: 340/4

51 السابق، 96/1

52 مقاييس اللغة: 92/3

53 مقاييس اللغة: 343/3

54 الخصائص: 149/2

55 أنواع الاشتقاق، ص 144



## خامساً: الحكم على ألفاظ دخيلة بأنها عربية أصيلة:

على الرغم من تبحر ابن جني في علم الصرف إلا أن هناك مأخذاً يؤخذ عليه وهو الحكم على ألفاظ معربة بأنها عربية من خلال رد اشتقاقها إلى أصول عربية، ومحاولة ربط معناها بأصل عربي، رغم ذهاب غيره إلى أنها ألفاظ أعجمية، دخلت من لغات أخرى، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- النبراس: وهو معرب معناه المصباح<sup>56</sup>، وقد أصله ابن جني، وأدرجه ابن جني تحت زيادة النون، فقال فيه: "وأما نون نبراس فقد ذهب<sup>57</sup> إلى زيادتها، واشتق له من معنى البرس، وهو القطن، لأن النبراس: المصباح، والفتيلة أبداً في غالب الأمر في قطن"<sup>58</sup> ورفض ابن عصفور تأويله ذلك: اليَبْرَاسُ، بالكسْرِ: المِصْبَاحُ، كما في الصَّحاح، وَ النَّوْنُ أَصْلِيَّةٌ، قَالَ ابْنُ جَنِّي: هُوَ نِعْمَالٌ مِنَ الْبِرْسِ وَهُوَ الْقُطْنُ وَ النَّوْنُ زَائِدَةٌ... وَرَدَّ ابْنُ عَصْفُورٍ بِأَنَّهُ اشْتِقَاقٌ ضَعِيفٌ<sup>59</sup>
  - الإبريز: وهو معرب معناه الذهب الخالص<sup>60</sup>، وابن جني يرى أنه مشتق "الإبريز إفعال من برز يبرز"<sup>61</sup> وهو معرب أصله يوناني<sup>62</sup>.
  - الرطل معرب من الأرامية<sup>63</sup> ويراد به اثنتا عشرة أوقية، في حين ذهب ابن جني إلى أصلته، فقال: "ومثل الأول قولهم: غلام رطل، وجارية رطلة لئبها، وهو من قولهم: رطل شعره إذا أطاله فاسترخى، ومنه عندي: الرطل الذي يوزن به. وذلك أن الغرض في الأوزان أن تميل أبداً إلى أن يعادلها الموزون بها. ولهذا قيل لها: مثاقيل"<sup>64</sup>
- يلاحظ على الأمثلة السابقة كيف ظهر ابن جني في مظهر المتكلف، حيث حرص على هذا التأصيل، وافتعل التأويل، في حين أنه بدا بعيداً غير مسوغ، وظهر معه حمل اللفظ على وجه غير متقبل.

## سادساً: الاعتقاد بأن المناسبة بين أصوات الألفاظ ومعانيها ذاتية مطردة:

أغرم ابن جني بتلك الصلة بين الألفاظ ومعانيها، وعُني بالربط بينها "ربطاً وثيقاً يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية"<sup>65</sup> وقدم أمثلة لهذه الظاهرة وخواطر طريفة وملاحظات مفيدة، فكان بحق هو "رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة وقرروها"<sup>66</sup>. وعرض طائفة من أمثلة هذه المناسبة في (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وقال عنه: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"<sup>67</sup> ويقول السيوطي عن هذه المناسبة: وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني<sup>68</sup>.

والمناسبة بين اللفظ والمعنى حقيقة لغوية لا سبيل إلى إنكارها، موجودة في طائفة من ألفاظ اللغة، ولكن ابن جني يذهب إلى اطرادها في اللغة، وإن حصل خفاء هذه المناسبة وعدم الوصول إليها، فإن ذلك لا يخل باطراد المناسبة بين اللفظ ومعناه، بل يرجع إلى أمور خفية في اللغة أو قصور في الباحث عنها: "إذا رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فأحد أمرين: إما أنك لم تنعم النظر فيه جيداً، وإما لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى علينا، وتقصّر أسبابها دوننا"<sup>69</sup> ويؤكد على أن الأمر موجود وواقع في اللغة وإنما يحتاج إلى تهيئة الفكر لاستقباله والاستعداد للظفر بأمثاله: "فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيت من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله، أعطاك مقادته وأركبك ذروته وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته وقلت: هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الحظوة به"<sup>70</sup>

<sup>56</sup> ينظر: تفسير الألفاظ الدخيلة، ص 73، المعرب، ص 340

<sup>57</sup> هكذا جاءت بفتح الذال في الكتاب.

<sup>58</sup> سر صناعة الإعراب، 1/181

<sup>59</sup> الزبيدي، تاج العروس (نبرس 253/9)

<sup>60</sup> الجواليقي، المعرب، ص 23

<sup>61</sup> الخصائص: 2/125

<sup>62</sup> تفسير الألفاظ الدخيلة، ص 1

<sup>63</sup> تفسير الألفاظ الدخيلة، ص 31

<sup>64</sup> السابق: 2/122

<sup>65</sup> إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 60

<sup>66</sup> دراسات في فقه اللغة، ص 159

<sup>67</sup> الخصائص، 2/154

<sup>68</sup> المزهر، 1/31

<sup>69</sup> الخصائص، 1/513

<sup>70</sup> السابق، 2/164

وافترض وجود المناسبة في ألفاظ اللغة كلها أمر مبالغ فيه، لأن في اللغة كثيرًا من الألفاظ الموضوعية للمعنويات كالحلم والعقل وأسماء الأجناس كالثلعب وغيرها لا تظهر فيها هذه المناسبة بين الأصوات والمعاني؛ لأن اللغة في أصل وضعها كانت للأصوات والمحسوسات، وفي هذا الصدد يقول عبد الغفار هلال "والواقع أن ابن جني ومن تابعه مبالغون في هذا الرأي، فالمناسبة لا تتضح في كل ألفاظ اللغة، فقد بين أستاذنا الدكتور نجا أن الأمثلة الكثيرة كقيلة بتحقيق هذه المناسبة، إلا أنها تبدو واضحة في الألفاظ الموضوعية للأشياء المحسوسة، أو الأصوات، أما ما دل على أسماء الأجناس ونحوها فإن هذه المناسبة لا تظهر، فقد يسى الشيء بما لا صلة له به"<sup>71</sup> وهذا ما حدا به إلى أن يعقب على موقفه من تلك القضية بقوله: "فلا شك أن في رأي ابن جني غلوا وتطرفًا"<sup>72</sup>.

#### سابعاً: تلمس الألفاظ العامة للتعبير عن الروابط المعنوية:

كان ابن جني يتخير للروابط التي يهتدي إليها ألفاظاً عامّة، بل شديدة العموم، كالقوة، والشدة، واللين، و المصاحبة؛ ومن ثمّ فإن " النظرة الأولى إلى صنيع ابن جني في هذه التقاليد لا تخطئ التكلف البعيد الذي وقع فيه وهو يلمس الطريق نحو الرابط السحري العجيب الذي يَرُدُّ هذه التقاليد جميعاً إلى أصل واحد، وإمام منقاد، ولكن الرابط الذي اهتدى إليه ابن جني ليس عامّاً وحسب، بل هو شديد العموم؛ وبلغت شدة عمومته حدَّ الإبهام والغموض، فهل ترى أعجب من أن تفسر هذه التقاليد كلها، وجميع الصور المتفرعة عنها، رغم ما لكبّ منها من مفهوم دقيق وإيحاء خاصّ، بهاتين الكلمتين العامتين الموهلتين في العموم: "القوة والشدة"؟"<sup>73</sup> وهكذا رافق ذلك التكلف شيء من العموم، يسوغه، ويكتسي به، فيظهر مقبولاً سائغاً، تحمله اللغة، ولا يرفضه العقل.

#### ثامناً: تعميم نتائج أفكاره ونظرياته على المواد والأصول:

إن تعميم الفكرة على اللغة كلها، وعدّها قاعدة مطردة هو جزء من فكرة المبالغة، فقد تكون الفكرة مستساغة في بعض الأمثلة إلا أن إدعاء وجودها في اللغة كلها، والقول بإمكانية تطبيقها على ألفاظها كلها، فيه إحراج للغة التي قد لا تقبل فكرته، ولا تواءم طبيعتها، واقتضى ذلك كله التجوز في التعبير، والوقوع في التعميم، كما حدث في القول بأن تقارب الألفاظ أو الجذور يؤدي إلى تقارب معانيها جذرين أو لفظين.

وقد يقول قائل إن ابن جني لم يزعم بإمكانية تطبيقها على اللغة كلها، وهذا صحيح لكنه ما يلبث أن يؤكد على أن ذلك يحتاج فقط لإمعان النظر والملاحظة، والتعمق في أسرار اللغة ودقائقها، حتى تنقاد لطلالها وتسلمه مفاتيحها، يقول فندريس عن علم الاشتقاق: "ومع ذلك فهناك شرط لا بد منه، ذلك أن الاشتقاق لا يعتبر عمله منتهياً عندما ينجح بقوة الصبر في أن يقرر تاريخ بضع كلمات قد أخذت على انفراد، اشتقاق الألفاظ منفردة لا فائدة منه في حد ذاته، فالحالة الخاصة، مهما ثبتت علمياً ليست إلا ملهأة يتسلى بها إذا لم يستخرج منها مبدأ عام يستطيع تطبيقه على حالات أخرى، ونحن نعلم أنه يوجد من بين الاشتقاقات حالات كثيرة لا تؤدي إلى نتائج عامة"<sup>74</sup>.

#### المبحث الثاني: أسباب التكلف اللغوي عند ابن جني

إن "من طبيعة العقل البشري أن يتساءل عن الأسباب الكامنة وراء أية ظاهرة مهما يكن نوعها، فيبحث عن تفسيرها بإخضاعها لأحكام يراها منطقية"<sup>(75)</sup> فالبحث عن الأسباب الخفية وراء ما هو ظاهر ملحوظ، والسؤال عن العلل يعد جزءاً من طريقة التفكير البشري، وجانباً من الفطرة الإنسانية التي تتطلع دائماً إلى معرفة الأسباب، لذا كان حرياً أن يُبحث عن الأسباب التي كانت وراء وجود هنأت من التكلف عند ابن جني، وقد كان أهم ما يعتمد عليه في الكشف عن ذلك هو التدبر، والتأمل في نصوص ابن جني، وإطالة النظر في طرائق تفكيره، وأسس تنظيره، للوصول إلى ما وراء ذلك التفكير من علة أو تبرير، ويمكن عرض أهم الأسباب التي أدت إلى تكلف ابن جني ومبالغته من وجهة نظر الباحث وفق العناصر الآتية:

71 عبقرى اللغويين، ص 875

72 السابق نفسه.

73 دراسات في فقه اللغة، 201

74 اللغة، ص 249

75 بلقاسم بلعرج، ظاهرة تحليل الألفاظ، مجلة الدراسات اللغوية، 1

أولاً: أسباب منهجية:

• فكرة ارتباط أصوات الألفاظ بمعانيها

إن تبني ابن جني لهذا المبدأ جعله مسؤولاً عن أهم آراء ابن جني، ورافداً رئيساً للتكلف في الوقت نفسه، فالمتمثل لآراء ابن جني اللغوية التي تفرد بها يدرك أن فكرة ارتباط أصوات الألفاظ بمعانيها هي الفكرة الرئيسة التي تفرعت منها الأفكار الأخرى، إذ يرى أن "جرس اللفظ له حسابه في الدلالة، وله جزء في الاصطلاح الذي أنشأ المعنى اللغوي للفظه" لأنه يعتقد أن: "كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر بها عنها" ولاشك أن إيمان ابن جني بهذه الفكرة وشدته ولعبه باختصاص كل حرف من حروف اللغة أياً كان موقعه بمعنى خاص به جعله يسرف في محاولة الربط الدلالي والتكلف الاشتقائي؛ لأنه التزم مبدأ مفاده أن الحروف تحمل قيمة تعبيرية أو معنوية، وعليه فإن اختلف ترتيبها أو تقاربت مخارجها فإن معانيها ستكون متقاربة طالما جمعتها أحرف مشتركة وأصوات متقاربة واقتناع ابن جني بهذه الفكرة ورغبته في إقناع القارئ بها يكاد يكون هو السبب الرئيس أو الدافع الأكبر للوقوع في التكلف، وربما كان هذا مؤسساً على إيمان ابن جني بالنظرية الصوتية لنشوء الألفاظ.

ومن شدة ولع ابن جني بفكرة الدلالة الصوتية ذهابه إلى أن بعض الألفاظ التي تختلف بصوتين أو ثلاثة متقاربة المعنى إذا كانت الأصوات المختلفة متقاربة من حيث المخرج أو الصفة، يقول إبراهيم أنيس حول هذه الفكرة: "وهكذا نرى أن ابن جني كان ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات أو ما يسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية، بل لقد غلّى ابن جني في هذا ومعه الثعالبي صاحب فقه اللغة إذ جعل مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثية دليلاً على الاشتراك في معنى عام لبعض الكلمات..."<sup>76</sup>

وكانت هذه الفكرة بمثابة الشريان الذي يمتد في موضوعات الكتاب ونظرياته ويغذيها، وعبّر عنها بجلاء حين قال: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج مثلب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"<sup>77</sup>

• ميل ابن جني إلى التعليل

يميل ابن جني إلى التعليل في كثير من المسائل اللغوية؛ إذ "إن أبا الفتح ذو عقلية تعليلية فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها، وكان مسرفاً في ذلك يحاول بكل ما أوتي من قوة فكر وحدة ذهن استخلاص العلة، وإن كانت بعيدة"<sup>78</sup> وتميز ابن جني بأنه "كان ذا عقلية تحليلية، فهو يحلل المسألة إلى أقصى ما تتحمله"<sup>79</sup> فتجده يميل إلى التعليل والشرح والبسط في كثير من المسائل، حتى إن من المسائل ما لم يذكر في باب واحد، وإنما يذكر في أماكن متفرقة في الكتاب، ويشير إلى ذلك.

هذه المعالجة التي كان يقوم بها ابن جني كانت تقوم على الأسلوب السهل، وعلى العبارة السهلة الواضحة. كما أن ابن جني كان على علم ومعرفة كاملة بقواعد اللغة العربية الصحيحة، وبذلك أمتع القارئ والباحث من خلال أسلوبه، ومن خلال تفكيره، وتعبيره، ومعالجته لهذه القضايا؛ لأن "عنده تعليلات في غاية الدقة وبعد النظر"<sup>80</sup> وهي في مجملها واضحة كل الوضوح لا تعقيد فيها، تتسم بالموضوعية، والقرب من واقع اللغة إلا فيما ندر.

وقد ذهب الزجاجي إلى أن علل النحو على ثلاثة أضرب: "علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية"<sup>81</sup> أما ابن جني فقد قسم العلل على أساس من سلامة الحس والذوق اللغوي. فعلى النحو عنده على ضربين: أحدهما واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره، والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه له"<sup>82</sup> أما العلل الأخرى فهي عنده: "شرح وتفسير وتتميم للعلة ... فإن تكلف متكلف جواباً عن هذا تصاعدت عدة العلل، وأدى ذلك إلى هجنة القول وضعفة القائل به"<sup>83</sup>

وهكذا كانت العلل ثلاثة أنواع منها ما هو ضروري لتحقيق غاية تعليمية، وهي التوصل إلى معرفة كلام العرب، ومنها ما تقتضيه الضرورة اللغوية لقياس الكلمات على نظائرها عند طلب القاعدة لمجارة كلام العرب، مما يكفل للعربية الاستمرار والتطور، ومنها ما يتصل بالجدل والنظر وإظهار البراعة في البحث والاستقصاء، وبدل على تمكنه من زمام اللغة، وتمكنه من أساليب البحث وطرائق

<sup>76</sup> من أسرار اللغة، ص 67

<sup>77</sup> الخصائص، 2/154

<sup>78</sup> ابن جني النحوي، ص 207

<sup>79</sup> السابق، ص 212

<sup>80</sup> ابن جني النحوي، ص 208

<sup>81</sup> الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 64

<sup>82</sup> الخصائص: 1/137

<sup>83</sup> السابق: 1/229

النقاش، ولعل هذا النوع الأخير هو ما حدا بابن جني نحو هذا النوع من التكلف؛ لأنه يندفع للوقوع في علة تبدو فيما ندر واهية " فتراه يحاول ربط العلة بالمعلول بأوهى خيط لاستخراج العلة، ويغرق في ذلك، ففي الاشتقاق الأكبر مثلاً نراه يحاول ربط المعنى بكل تأويل"<sup>84</sup> وإن كان البحث عن العلة غاية سعى إليها علماء اللغة فقد انبثقت عن إيمان راسخ لديهم بوجودها في أذهان المتكلمين بها، وأن مهمة العلماء هي الكشف عنها، والوصول إليها، لا اختراعها وابتداعها لذا يقول ابن جني: "فإن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقع بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخض عنا وتقصّر أسبابها دوننا كما قال سيويوه: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"<sup>(85)</sup>

#### ● تعلق ابن جني بالاشتقاق وولوعه به

وقد تعلق ابن جني بالاشتقاق في كثير من المواضع واحتكم إليه في توضيح بعض المشاكل، لكي يحدد أصل اللفظين، ويميز بين الأصل والفرع وأيهما اشتق من الآخر.

ومن ذلك التعلق إرجاعه كلمة "الجعشوش" إلى "الجعسوس": "ومعناه: القصير، اللثيم، ويقال: "هم من جعاسيس الناس، ولا يقال: "من جعاشيش الناس" -أي: بالشين- يقال بالسين، ولا يقال بالشين. وكثرة التصرف هذه مؤذنة بأن "السين" هي الأصل، و"الشين" بدل منها"<sup>86</sup>، وابن جني يزيد هذه المسألة بياناً متكناً على الاشتقاق فيقول: "والاشتقاق يعضد كون "السين" غير معجمة هي الأصل، وكأنه اشتق من "الجعسس" صفة على "فعلول"، وذلك أنه شبه الساقط المهين من الرجال بشيء آخر"<sup>87</sup>

ويؤكد ذلك التعلق تأصيله لطائفة من "الألفاظ الدخيلة كالمسك والصور والابريز والرطل والنبراس... ظاناً أنها عربية"<sup>88</sup> وقد أرجع السامرائي حكم ابن جني على بعض الألفاظ المعربة بأنها أصيلة إلى إغفال الاطلاع على اللغات الأخرى؛ ووصفها السامرائي بالتأويلات البعيدة، فقال: "ولكن بإغفالهم هذه المسألة دخلوا في تعليقات بعيدة عن واقع اللغة وتخريجات وتأويلات في غاية البعد"<sup>89</sup>

#### ● صعوبة النظرية وتعقيدها

أسهمت غرابة الفكرة التي يدعو إليها وصعوبة تطبيقها على اللغة، واحتياجها أحياناً إلى شيء من التكلف والاحتيال في وجود طيف من التكلف يستشعره القارئ، ولكن براعة ابن جني ورسوخ قدمه في اللغة يجعل القارئ إما يتجاوزها أو يستسيغها ويقنع به، وقد أشار ابن جني إلى هذه الفكرة إشارات متفرقة وبطرق مختلفة، الذي يعبر عنه أحياناً بـ "إنعام النظر وملاطفته" ويقول في موضع آخر معقّباً على الاشتقاق الأكبر معترفاً بصعوبة تطبيقه وتعميمه: "واعلم أننا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذراً صعباً، كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصماً بل لو صحّ من هذا النحو، وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجباً، فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ويجاربه إلى المدى الأبعد"<sup>90</sup> وتارة يعبر عن تلك الصعوبة بالغرابة: "وستراه فتجده طريقاً غريباً ومسلكاً من هذه اللغة الشريفة عجباً"<sup>91</sup> ويعترف في موضع آخر بأن طرائقه "حزنة المذاهب، والتورود لها وعر المسلك"<sup>92</sup>

وهكذا كان التقلب سبباً في دخول مضيق التكلف، حيث "تكلف الأئمة من الجهد، في تقليب الأصل الواحد على وجوهه كيف شكّلت، ما ألجأهم إلى مضايق ومآزق لا مخرج منها ولا محيص"<sup>93</sup>

هذا وقد غلب على مباحث ابن جني طابع الاستقصاء والغوص في التفاصيل، والتعمق في التحليل، واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات.

#### ثانياً: أسباب شخصية:

كان لابن جني سمات تميز شخصيته عن غيره من العلماء، ولعلها أسهمت بصورة مباشرة، أو غير مباشرة في وجود هذا الطيف من التكلف، أو لنقل تغذيته، ومن أهم هذه السمات:

<sup>84</sup> السامرائي، ص 207

<sup>85</sup> الخصائص، 2/164.

<sup>86</sup> الخصائص، 2/86

<sup>87</sup> السابق، 2/86

<sup>88</sup> ابن جني النحوي، ص 212

<sup>89</sup> السابق، ص 120

<sup>90</sup> الخصائص: 2/141.140

<sup>91</sup> الخصائص: 1/5

<sup>92</sup> السابق، 1/12

<sup>93</sup> الزعيلوي، دراسات في النحو، ص 554

## ● الثقة بالنفس والإعجاب بالرأي

شخصية ابن جني التي تميل إلى الإبداع، وتبحث عن التميز وترفض التقليد، فهو شخصية فذة تميل إلى أن تشق لنفسها طريقاً فريداً ومبتكراً له طابع الجودة والإبداع، يظهر ذلك جلياً من العنوان الذي اختاره لكتابه "الخصائص" حيث لم يسمه بـ "فقه اللغة" وإنما اختار له اسماً مبتكراً جديداً يختلف مع من قبله ولا يخالفه، ومما يعكس هذا الجانب من شخصيته ما نظمه من قصيدة طويلة مفتخراً فيها بعلمه، فقال:

فإن أصبح بلا نسبٍ فعلي في الورى نسي  
على أي أول إلى قروم سادة تُجِب  
قياصرة إذا نطقوا أرم الدهر ذو الخطب  
أولك دعا النبي لهم كفى شرفاً دعاء نبي

يؤكد ذلك توسع ابن جني في قضية الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الكبير، الذي كان يستعين به أبو علي الفارسي، ويستروح له عند الضرورة، ورغم أن الفارسي كان يستأنس به، إلا أنه لم يسمه، فجاء ابن جني بجراته العلمية وطاقته الإبداعية ليسمه يطلق عليه هذا الاسم، ويمثّل له، ثم وجدناه يتلطف في رد الكلمات التي تتحد في مكوناتها الصوتية وإن اختلف ترتيبها إلى معنى واحد يجمع بينها، ولم يزعم أن ذلك مطرد في جميع اللغة.

ورغم أنه استمد فكرة الاشتقاق الكبير من أستاذه أبي علي، وهو مع حرصه على اتباع من سبقه من الأئمة العلماء، وتبجيله لهم إلا أنه لا يُبالي أن يخالفهم إذا تهدي لرأي لم يقولوا به، واستوى له دليله، واستقرت عنده حُجته، لذا وصفه أحمد أمين بقوله: "ابن جني تلميذ أبي علي، وموسع مبادئه النحوية والصرفية، وإذا عبّرنا في النحو والصرف تعبيرنا في الفقه قلنا: إنّه مجتهد فيهما، له آراء مُبتكرة، واتجاهات انفرد بها"<sup>94</sup>

وإن كان يميل ابن جني إلى الابتكار والتجديد فإنه كان يمتلك العدة التي تمكنه من حيث الاطلاع الواسع على تراث الأسلاف من العلماء، وكذلك الذوق اللغوي الرفيع والسليم لديه، لذا وجدناه يبسط القول في القضايا التي حام حولها بعض العلماء السابقين، ويبتكر من المباحث ما لم يسبقه به أحد، وفي ذلك يقول ابن جني: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة، على سمت ما حداه، ومحتاج ما مثلاه"<sup>95</sup>. وقد لخص ابن جني مذهب في التجديد حين قال: "ومن وجد مقالاً قال به وإن لم يسبق إليه غيره، فكيف به إذا تبع العلماء فيه وتلاههم على تمثيل معانيه"<sup>96</sup>

## ● الإيمان العميق والقناعة التامة بأفكاره التي يدعو إليها

حمل ابن جني إيماناً عميقاً وقناعة تامة بوجود هذه الأفكار في اللغة يوضح ذلك ما قاله في التعقيب على أمثلة إمساس الألفاظ أشباه المعاني: "هذا ونحوه أمر إذا أنت أتيت من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله، أعطاك مقادته وأركبك ذروته وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته وقلت: هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الخطوة به"<sup>97</sup> وكأنه يشير إلى أثر الجانب النفسي من حيث الإيمان بالفكرة أو رفضها، أو الإيحاء بوجودها، فأنت إن وضعت قناعة في ذهنك وتصوراً مسبقاً بأن هذا الشيء موجود في اللغة فستنقاد إليك حباله وجهاته، وإن رفضت فكرة فلن تراها ولن تشعر بها. وإن كان ذلك كذلك فأولى الناس بحصول هذا هو ابن جني نفسه، إذ إن إيمانه بفكرته واعتقاده بها دفعه إلى رؤية آثارها في اللغة، وإمكانية تطبيقها على اللغة، وانسجامها معها.

وكان كلامه يحمل إشارة إلى أن القضية ليست حقيقة وواقعا في اللغة بقدر ماهي تصور واعتقاد يلقي على اللغة. وإذا انضم تصوره للأمر إلى ثقته بنفسه جعله يمضي في تعليقه مؤمناً مستبعداً الشك في أمثلته: "فأي شبهة تبقى بعده، أم أي شك يعرض على مثله" أضيف إلى ذلك "ما في حُلْفه وسجيته من توكيد المعنى في نفس السامع وتسديده، وهذا أمر بادٍ في كتبه، فهو يميل إلى الإطناب والتكرار والتوسل إلى الإقناع بكل ما في وسعه"<sup>98</sup>

<sup>94</sup> طهر الإسلام: 1/185<sup>95</sup> الخصائص، 2/154<sup>96</sup> السابق، 2/157<sup>97</sup> السابق، 2/164<sup>98</sup> الخصائص، 1/13، مقدمة المحقق

## ● إعجابه الشديد باللغة العربية

كان ابن جني معجباً بالعربية وقد سجل ذلك الإعجاب صراحة في غير موضع من كتابه مما جعله يرى فيها شيئاً يشبه السحر أو يفوقه ومن ثم تجده لا يقف عند حد وإنما يطلق لفكره العنان في إثبات هذا الحسن والجمال، وكشف دواعيه، ووصفها بأوصاف الكمال، مثل: الشريفة، اللطيفة، الكريمة، الحكيمة، من ذلك قوله: " فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة، وإنما يسمع الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهم منها إنما هي علم معنياتها، فأما كيف، ومن أين، فهو ما نحن عليه، وأحج به أن يكون عند كثير منهم شيئاً لا يحتاج إليه، وفضلاً غيره أولى منه " <sup>99</sup>

وفي السياق نفسه قال تعقيباً على الاشتقاق الأكبر: " قد رسمت لك منه رسماً فاحتده، وتقيله تحظ به، وتكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله، نعم، وتسترفده في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذ بيدك " <sup>100</sup>

وصرح بإعجابه بهذه اللغة وصنيع العرب فيها، فقال: " فأعجب للطف صنع الباري سبحانه في أن طبع الناس على هذا وأمكثهم من ترتيبه وتنزله وهدهم للتواضع عليه وتقديره " <sup>101</sup>

وربما كانت غاية ابن جني الجليلة في بيان حكمة العرب في لغتهم والرد على من أراد الإطاحة بعلمهم أو ادعى ضعفها، قاداته دون أن يشعر للوقوع في هنة التكلف في بعض المواضع، وقد خصص باباً في الدفاع عن علل النحويين <sup>102</sup> وكان يرد على من نفى حكمة تصرف العرب في كلامهم وذهب إلى أنها أمور لا منطوق وراءها: " في هذا حكم بإبطال ما دلت الدلالة عليه من حكمة العرب التي تشهد بها العقول، وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل، فما ورد على وجه يقبله القياس، وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف، حمل عليها ونسبت الصنعة فيه إليها. وما تجاوز ذلك فخفي لم توءس النفس منه، ووكل إلى مصادقة النظر فيه وكان الأحرى به أن يتهم الإنسان نظره، ولا يخفى إلى ادعاء النقض فيما قد ثبتت الله أطنابه، وأحصى بالحكمة أسبابه، ولو لم يتنبه على ذلك " <sup>103</sup>

وهكذا حذا به حبه للغة العربية وإخلاصه لها وإيمانه بحكمة العرب في كلامها إلى استعمال كل الوسائل لسد جميع الثغرات، وإظهار مواطن الجمال، واستخلاص أحكامها العامة والفرعية لدفع كل الاحتمالات.

## ثالثاً: طبيعة المرحلة العلمية والفترة الزمنية:

الأريحية التي توفرت لابن جني مكنته من مزيد من التأمل والتدبر في مكونات اللغة، وطبيعة المرحلة التي تلت التأسيس، حيث أصبح المجال مفتوحاً للإضافة وافتراس الفرضيات، ووضع الاحتمالات، بعد تمكن الأصول؛ ولذلك يقول: " وإنما أفضى بنا إليه طرف من القول أحببنا استيفاءه تأنساً به، وليكون هذا الكتاب ذاهباً في جهات النظر، إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم؛ لأن هذا الأمر قد فرغ منه في أكثر الكتب المصنفة فيه منه؛ وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معادن المعاني، وتقدير حال الأوضاع والمباني، وكيف سرت أحكامها في الأنحاء والجواشي " <sup>104</sup>.

ولو أن المرحلة كانت للتأسيس ووضع الأصول والجمع والوضع ما وجد ابن جني متسعاً للتعمق، والتبحر، ومن ثم الوقوع في التكلف، ساعده على ذلك الاطلاع الواسع على تراث الأسلاف من العلماء، وكذلك الذوق اللغوي الرفيع والسليم لدى ابن جني. فقد وجدناه يبسط القول في القضايا التي حام حولها بعض العلماء السابقين، ويتكرر من الباحث ما لم يسبقه به أحد، مثل: باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، يقول ابن جني: " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة، على سمت ما حداه، ومنه ما مثله " <sup>105</sup>.

وربما جاء بعد ابن جني من تكلف في الاشتقاق الكبير تكلفاً لا يطاق، فخرجوا به على مدلول اللفظ الأصلي الذي أصله ابن جني، وتعمسوا في التعليل والتفسير؛ يقول حمزة الأصبهاني: " كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى؛ فتقول: الرَّحْل مشتق من الرَّحِيل، والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه تاب " أي رجع " لباساً بعد أن كان غزلاً، حسبيبه الله! " <sup>106</sup>

99 السابق:2/123

100 السابق:2/141

101 السابق:2/119

102 عنوانه "باب في الرد على من أعتقد فساد علل النحويين بضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة، الخصائص، 1/185

103 الخصائص، 2/154

104 السابق، 1/33

105 السابق:2/154

106 السيوطي، المزهري، 3/1

## الخاتمة:

رغم براعة ابن جني في التعليل والتحليل ومقدرته اللغوية الفذة في معالجة القضايا اللغوية بصورة منطقية خاضعة للتصور العقلي إلا أنه لم يسلم من وصف بعض اللغويين القدامى والمحدثين له بالمبالغة في بعض القضايا، ولعل أكثر كلمة كانت تستعمل لوصف مبالغة ابن جني في إثبات فكرته هي كلمة "تكلف" وقد سلطت الدراسة الضوء على هذا المآخذ في كتاب "الخصائص"؛ لرصد مظاهره، والكشف عن أسبابه، ويمكن القول إنها أسفرت عن نتائج، من أهمها الآتي:

- أبرزت الدراسة التكلف الاشتقائي بوصفه مظهرًا من أكثر مظاهر التكلف حضورًا؛ وقد كان ولوع ابن جني بالاشتقاق سببًا في التزامه والاحتكام إليه، مما دفعه للمبالغة في بعض المسائل التي تكلف في ربطها وأسرف في تأويلها، لاسيما محاولة إيجاد رابط معنوي مشترك لجميع الجذور الناتجة عن تقلاب المادة الواحدة، فيما سماه "الاشتقاق الأكبر".
  - مما تعزى له أكثر أسباب التكلف وترد إليه أن ابن جني كان يحاول أن يقلل دائما من مساحة التباين في اللغة، وكأن التباين بين دلالات الألفاظ عيب في اللغة ومنقصة منها، معتقدا أن هذا التلاقي الدلالي نظام ملتزم، وأمام متبع ومقصود عند أهل اللغة.
  - أظهرت الدراسة أن تباين ابن جني لمبدأ ارتباط أصوات الألفاظ بمعانها كان مسؤولا عن أهم آراء ابن جني، ورافدًا رئيسًا للتكلف في الوقت نفسه، ومن ثم فإن بعض مواضع التكلف التي تفرد بها ابن جني كانت فكرة ارتباط أصوات الألفاظ بمعانها وراءها.
  - من مظاهر التكلف التي رصدتها الدراسة محاولة ربط ترتيب حروف اللفظ بمعناه وبالحدث المعبر عنه، استنادًا على مبدأ القيمة التعبيرية للحرف، وهو مظهر يقود التسليم بمبادئه إلى التناقض مع نظرية الاشتقاق الكبير التي نادى بها ابن جني، وأقامها على مبدأ جمع تقاليد المادة على اختلاف ترتيب حروفها على معنى واحد مشترك بينها؛ لأن اعتماد الترتيب بوصفه دالًا على المعنى ومؤشر عليه يبني عليه أن اختلاف الترتيب يؤدي إلى اختلاف المعنى وتغيير مساره، وبذا قاد تكلف ابن جني إلى تناقضه من طرف خفي.
  - أسهمت عقلية ابن جني التحليلية التعليلية من ناحية وشخصيته الفذة المبدعة من ناحية أخرى في إيجاد قدر من التكلف، فهو يحلل المسألة إلى أقصى ما تتحمله ويشرح دقائقها وعللها ويميل إلى الابتكار والإبداع في ثقة واعتداد.
  - كان إعجاب ابن جني باللغة وصنيع العرب، وسعيه الحثيث إلى بيان حكمة العرب في لغتهم والرد على من أراد الإطاحة بعلمهم أو أدعى ضعفها من أسباب الوقوع في مضيق التكلف.
- وأخيرًا فإن هذا الملمح الفكري عند ابن جني لم يكن طابعًا سائدًا ولا صفة دائمة عنده، ولكنه كان ملمحًا محدودًا يبرز تارة ويختفي أخرى، قد يلجأ إليه ابن جني لتحقيق أغراض علمية كإثبات فكرة، أو التدليل على صحة نظرية.

## المراجع:

## أولاً: المراجع العربية:

1. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (1412هـ). تح: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت.
2. أمين، احمد (2013). *ظهر الإسلام. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.*
3. أنيس، ابراهيم (1976). *من أسرار اللغة. ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1966/ دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، القاهرة.*
4. البستاني، بطرس (1883). *دائرة المعارف. طبعة بيروت.*
5. بستاني، يوسف توما (1932). *تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه. ط1، مكتبة العرب، القاهرة، مصر، 1932م.*
6. بلعرج، بلقاسم بن أحمد (2002). *ظاهرة تعليل الألفاظ. مجلة الدراسات اللغوية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، (2)4.*
7. النعالي، عبد الملك (1403هـ). *تيممة الدهر في محاسن أهل العصر. ت: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية.*
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان (1421هـ). *سر صناعة الإعراب. ت: حسن هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.*
9. الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. الجواليقي، أبي منصور موهوب بن أحمد (1410هـ). *المعرب من الكلام الأعجمي. ط1، دار القلم، دمشق، سوريا.*

11. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (1407هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ت: احمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
12. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (1984). *تاج العروس من جواهر القاموس*. ت: مصطفى حجازي وآخرين، دار الهداية
13. الزجاجي، أبو القاسم (1406هـ). *الإيضاح في علل النحو*. ط5، دار النفائس، بيروت، لبنان.
14. الزعبلوي، صلاح الدين (2010). *دراسات في النحو*. موقع اتحاد كتاب العرب.
15. سليمان، صادق (1993). *أنواع الاشتقاق في العربية بين القدماء والمحدثين (دراسة لغوية نقدية)*. مجلة جامعة بيت لحم: فلسطين.
16. السامرائي، فاضل صالح (1389هـ). *ابن جني النحوي*. ط1، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
17. السيوطي، جلال الدين (1418هـ). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
18. الصالح، صبيحي (2009). *دراسات في فقه اللغة*. ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
19. اضوالي، صارة (1437هـ). *ابن جني وحياته العلمية*. الألوكة، ط1.
20. الطوسي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (1390هـ). *شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل*. ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق.
21. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1422هـ). *الشرح الممتع على زاد المستقنع*. ط1، دار ابن الجوزي للنشر.
22. العيص، سائدة عمر (2007). *الوجهة الاجتماعية عند ابن جني في الخصائص*. ط1، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
23. ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا (1399هـ). *معجم مقاييس اللغة*. ت: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
24. فندريس، جوزيف (1950). *اللغة*. ت: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
25. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (1426هـ). *القاموس المحيط*. ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
26. المبارك، محمد (1972). *فقه اللغة وخصائص العربية*. دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان.
27. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1994). *لسان العرب (711هـ)*. ط3، بيروت، دار الفكر.
28. المناوي، عبد الرؤوف (1990). *التوقيف على مهمات التعاريف*. ت: عبد الحميد حمدان، ط1، عالم الكتب.
29. هلال، عبد الغفار حامد محمد (2006). *عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني*. رابطة الأدب الحديث، القاهرة، مصر.
30. وافي، علي عبد الواحد (2004). *فقه اللغة*. ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
31. وافي، علي عبد الواحد (2004). *علم اللغة*. ط9، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
32. ولد اباه، محمد المختار (2008). *تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب*. ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

1. www.marefa.org

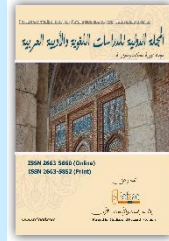




www.refaad.com

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية  
International Journal for Arabic Linguistics and Literature  
Studies (JALLS)

Journal Homepage: <https://www.refaad.com/views/JALS/home.aspx>  
ISSN: 2663-5860(Online) 2663-5852(Print)



## Ibn Jinni's linguistic Preciosity In "The book of Alkhasayis It's reasons & demonstrations (392H)

**Amane Abdulaziz Aldawood**

Associate Professor of Arabic Language, University of Jeddah, KSA  
aal-dawood@uj.edu.sa

Received : 7/7/2021 Revised : 21/7/2021 Accepted : 7/8/2021 DOI : <https://doi.org/10.31559/JALLS2021.3.3.4>

**Abstract:** Ibn Jinni's scientific status and linguistic preciosity were uttered by the testimonies of the earlier and later generations, and the investigators referred to it, his scientific status is unanimous, and there is no dispute or controversy over it, Hence, the nature of this study is different from other studies that dealt with Ibn Jinni aiming to shed light on one of the issues that were taken on him, and one aspect of the linguistic criticism that was directed at him is the slight preciosity with which he was marked by some scholars, ancient and modern.

The study tended to monitor that preciosity by examining its demonstrations as it emerged in Ibn Jinni, and trying to reveal the reasons that led Ibn Jinni to it, or led to his presence in his linguistic presentation and scientific thought, the reliance in determining these demonstrations and reasons were based on contemplation and explanation on the texts of Ibn Jinni and the approaches of his analysis examples, his presentation of theories, his judgment on them, and prolonged consideration of his thought approaches, and the foundations of his theorizing, in order to reach beyond that thought of the reason or justification, and It is being followed in which Ibn Jinni appeared affected or excessive in opinion, and studied it an objective study, which does not disregard his efforts and at the same time reveals an aspect of his personality that may be reflected in his linguistic presentation and justify a position taken towards him in some cases.

The study highlighted derivational affectation as one of the most present aspects of affectation. Ibn Jinni's obsession with derivation was a reason for his commitment and appeal to it, and other aspects were observed, the most important of which are:

Attempting to link the order of the pronunciation letters with its meaning and expressed event, based on the principle of the expressive value of the letter, and the link between the meanings of the origins of synonyms, even if their meanings diverged, and rooting of some extraneous words. As for the most common reasons, it is attributed to the fact that Ibn Jinni was always trying to reduce the area of variation in the language, with what was distinguished by his analytical and explanatory mentality and his unique and creative personality.

He fully analyzes the issue that it can bear, and explains its subtleties and causes, and tends to innovate and create with confidence and pride, accompanied by strong admiration for the Arabic language, and a desire to express their wisdom.

**Keywords:** *Ibn Jinni; Linguistic preciosity; Derivation; Matching words with meanings.*

## References:

1. Al'thymyn, Mhmd Bn Salh Bn Mhmd (1422h). Alshrh Almmt' 'la Zad Almstqn'. T1, Dar Abn Aljwzy Llnshr.
2. Al'ys, Sa'dh 'Emr (2007). Alwjhh Alajtma'yh 'nd Abn Jny Fy Alkhsa's. T1, Dar Alfah Llnshr Waltwzy', 'man, Alardn.
3. Adwaly, Sarh (1437h). Abn Jny Whyath Al'lmyh. Alalwkh, T1.
4. Amyn, Ahmd (2013). Zhr Aleslam. M'sst Hndawy Llt'lym Walthqafh, Msr.
5. Anys, Abraham (1976). Mn Asrar Allghh. T3, Mktbt Alanjlw Almsryh, Alqahrh, Msr, 1966/ Dlalt Alalfaz, Mktbh Alanjlw Almsryh, T3, Alqahrh.
6. Alasfhany, Abw Alqasm Alhsyn Bn Mhmd Alm'rwf Balraghb Alasfhany (1412h). Th: Sfwan Aldawdy, Dar Alqlm, Aldar Alshamyh - Dmshq Byrwt.
7. Bl'rij, Blqasm Bn Ahmd (2002). Zahrh T'lyl Alalfaz. Mjlt Aldrasat Allghwyh: Mrkz Almlk Fysl Llbhwth Waldrasat Alaslamyh, 4(2).
8. Albstany, Btrs (1883). Da'rt Alm'arf. Tb't Byrwt.
9. Bstany, Ywsf Twma (1932). Tfsyr Alalfaz Aldkhyh Fy Allghh Al'rbyh M' Dkr Aslha Bhrwfh. T1, Mktbt Al'rb, Alqahrh, Msr, 1932m.
10. Abn Fars, Aba Alhsyn Ahmd Bn Zkryl (1399h). M'jm Mqayys Allghh. T: 'Ebd Alslam Harwn, Dar Alfkr Lltba'h Walnshr Waltwzy', Byrwt, Lbnan.
11. Fndrys, Jwzyf (1950). Allghh. Tr: 'bd Alhmyd Aldwakhly, Mhmd Alqas Alnashr: Mktbh Alanjlw Almsryh.
12. Alfyrwzabada, Mjd Aldyn Abw Tahr Mhmd Bn Y'qwb (1426h). Alqamws Almhyt. T8, M'sst Alrsalh Lltba'eh Walnshr Waltwzy', Byrwt, Lbnan.
13. Hlal, 'bd Alghfar Hamd Mhmd (2006). 'bqry Allghwyyn Abw Alfth 'thman Abn Jny. Rabtt Aladb Alhdyth, Alqahrh, Msr.
14. Abn Jny, Abw Alfth 'thman (1421h). Sr Sna't Ale'rab. T: Hsn Hndawy, Dar Alktb Al'lmyh, Byrwt, Lbnan.
15. Aljwalyqy, Aby Mnsr Mwhwb Bn Ahmd (1410h). Alm'rb Mn Alklam Ala'jmy. T1, Dar Alqlm, Dmshq, Swrya.
16. Aljwhry, Abw Nsr Esma'yl Bn Hmad (1407h). Alshah Taj Allghh Wshah Al'rbyh. T: Ahmd 'bd Alghfwr 'tar, T4, Dar Al'lm Llmlayyn, Byrwt, Lbnan.
17. Alkhsa's, T4, Alhy'h Almsryh Al'amh Llktab.
18. Almbark, Mhmd (1972). Fqh Allghh Wkhsa's Al'rbyh. Dar Alfkr Llnshr, Byrwt, Lbnan.
19. Almnawy, 'bd Alr'wf (1990). Altwqyf 'la Mhmat Alt'aryf. Th: 'bd Alhmyd Hmdan, T1, 'alm Alktb.
20. Abn Mnzwr, Abw Alfdl Jmal Aldyn Mhmd Bn Mkrm (1994). Lsan Al'rb (711h). T3, Byrwt, Dar Alfkr.
21. Alsah, Sbhy (2009). Drasat Fy Fqh Allghh. T3, Dar Al'elm Llmlayyn, Byrwt, Lbnan.
22. Alsamra'y, Fadl Salh (1389h). Abn Jna Alnhwy. T1, Dar Alndyr Lltba'h Walnshr Waltwzy', Bghdad, Al'raq.
23. Slyman, Sadq (1993). Anwa' Alashtqay Fy Al'rbyh Byn Alqdma' Walmhdthyn (Drash Lghwyh Nqdyh). Mjlt Jam't Byt Lhm: Flstyn,
24. Alsytwy, Jlal Aldyn (1418h). Almzhr Fy 'lwm Allghh Wanwa'ha. T1, Dar Alktb Al'lmyh, Byrwt, Lbnan.
25. Alth'alby, 'bd Almlk (1403h). Ytymh Aldhr Fy Mhasn Ahl Al'sr. T: Mfyd Mhmd Qmyhh, T1, Dar Alktb Al'lmyh.
26. Altwsy, Abw Hamd Mhmd Bn Mhmd Alghzaly (1390h). Shfa' Alghlyl Fy Byan Alshbh Walmkhyh Wmsalk Alt'lyl. T1, Mtb't Alershad, Bghdad, Al'raq.
27. Wafy, 'la 'bd Alwahd (2004). Fqh Allghh. T3, Nhdt Msr Lltba'h Walnshr, Alqahrh.
28. Wafy, 'ly 'bd Alwahd (2004). 'lm Allghh. T9, Nhdt Msrltba'h Walnshr, Alqahrh.
29. Wld Abah, Mhmd Almkhtar (2008). Tarykh Alnhw Al'rby Fy Almshrq Walmghrb. T2, Dar Alktb Al'lmyh, Byrwt, Lbnan.
30. Alz'blawy, Slah Aldyn (2010). Drasat Fy Alnhw. Mwaq' Athad Ktab Al'rb.
31. Alzbydy, Mhmd Bn Mhmd Bn 'bd Alrzaq Alhsyn (1984). Taj Al'rws Mn Jwahr Alqamws. Th: Mstfa Hjazy Wakhryn, Dar Alhdayh
32. Alzjayy, Abw Alqasm (1406h). Aleydah Fy 'll Alnhw. T5, Dar Alnfa's, Byrwt, Lbnan.